حدوثُ العالم وقِدَمُه: دراسة مقارنة لآراء الكندى والفارابى

(Incidence and Antiquity of the World: A Comparative Study of the Views of *al-Kindī* and *al-Fārābī*)

* محمد اشفاق

** د. راحيلة خالد القرشي

***قمر عزيز

Abstract

This paper presents a comparative study of the views of *al-Kindī* (801-873), a renowned Arab Muslim philosopher hailed as the "father of Arab philosophy" and *al-Fārābī* (872-950), another distinguished Muslim philosopher called "Second Teacher" following Aristotle known as the "First Teacher, on the incidence and antiquity of the world. It finds that there is much difference between the two philosophers on the referred issue. *Al-Kindī* believes in the incidence of the cosmos, while *al-Fārābī* believes in its antiquity. *Al-Kindī*'s views are thus in line with the traditional religious stance commonly accepted by Christians, Jews, and Muslims on behalf of their religious texts. *Al-Fārābī's* denial of the incidence of the world is actually the denial of resurrection, as in his view the world has no end. Islamic religious texts clearly

* الباحث بمرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاسلامية بهاولفور/الخطيب بقسم الأوقاف الحكومي بنجاب ، باكستان

** الأستاذة المشاركة و رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاسلامية بهاولفور

*** الباحث في ايم فل بقسم الدراسات الاسلاميه، الجامعة القرطبة للعلوم و تكنولوجيا، ديره اسماعيل خان

verify the occurrence of the world and reject the notion of its antiquity.

Key Words: World, Incidence, antiquity, "*al-Kindī*" , "*al-Fārābī*"

تُعدّ مسألة وجود العالم، من حيث هو قديم أم حادث، من بين أهمّ القضايا التي عرض لها مفكروا الإسلام على اختلاف فرقهم و تياراتهم الفكرية، وبخاصّة الفلاسفة، والقول بقدم العالم على مذهب أرسطو قد انتشر في الأوساط الإسلامية أكثر منه على أي مذهب آخر، وكان أن اعتنقه بعض فلاسفة الإسلام، المعروف بـ "المشاؤون"، وعلى رأسهم الفارابي وابن سينا، فاعتنقوا آراء الفلاسفة اليونانية كأرسطو وأفلاطون وأفلوطين. ومن أجل توضيح هذا التأثير فأكتب هذه المقالة الوجيزة لبيان آراء " الكندي[2] والفارابي [3] "حول مسألة قِدم العالم وحدوثه.

---

[2]هوأبو يوسف يعقوب بن اسحٰق الكندي (ت:256هـ)، فكان من آباءِ يعقوب الكندي "الأشعثُ بن قيس"و هو من المسلمين الأوّلين من كندة، فحضر الي النبي في وفد كندة في عام الوفود و أسلم، والكندي يردّ نسب نفسه إلى ملوك كندة القدماء،فولد في مدينة الكوفة عام 184هجري وكان والده اسحق أميرًا علي الكوفة الكوفة في عهد المهدي والرشيد ـ ، ويُذكر أنه كان يترجم كتب اليونان الي العربية . وأنه كان يهذب ما يترجمه غيره ،كما فعل بالكتاب المنحول لأرسطو و المسمي :" أرثولوجيا أرسطو طاليس"و تروي لنا أيضًا أسماء كثيرة من المساعدين والتلاميذ الذين يظهر أنهم كانوا يترجمون تحت اشراف الكندي ، و ربما كان فيلسوفنا يقوم في قصر الخلافة يعمل المنجّم أو الطبيب،وقد يكون أيضًا عمل بديوان الخراج ؛ غير أنه أقصي في أواخر أيامه عن قصر الخلافة ،وأصابه ما أصاب غيره بسبب الرجوع الي مذهب أهل السنّة، أيام الخليفة المتوكل

[3]هو شيخ الفلسفة الحكيم،أبو نصرمحمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي المنطقي (ت: 339 هـ) أحد الأذكياء وثاني فيلسوف ذي شأن في الفلسفة الإسلامية هو أبونصر الفارابي ،الملقب بـ"المعلم الثاني" في مقابل أرسطوطاليس الملقب بـ"المعلم الأول" وأبونصر الفارابي تركي العنصر والبيئة،كان أبوه قائدًا تركيًا فيما يروي بعض المؤرخين،و ولد أبونصرفي مدينةوسيج،إحدى مدن فاراب.و فاراب –أو باراب كماتنطق في لهجتهاالأصلية-وهي من مدن الترك فيماوراء النهر فيلسوف المسلمين غير مدافع دخل العراق واستوطن بغداد وقرأ بها العلم الحكمي على يوحنا بن جيلاد المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر -وكانت له مقدرة عجيبة علي تعلّم اللغات ، روي ابن خلّكان-أنّ الفارابي صرّح أمام سيف الدولة أنّه يجيدسبعين لسانًا. ولايخفي مافي الروية ممّايصعب الأخذ به،ولكنّ الأمرالثابت هوأنّ أبانصركان يجيدالعربية والفارسية والتركية والكردية، و ذلك ظاهر في مؤلفاته ولاسيّما"كتاب الموسيقي الكبير".

رأي الفارابي

عند الفارابي ''العالم قديم'' ، لأنه قال في الكتاب : و ممّا يظنّ بأرسطوطاليس أنه يري أن العالم قديم ، و بأفلاطون أنه يري أن العالم محدث۔[4] إنّ الفارابي من حكماء الاسلام و من فحول الفلاسفة الاسلامية ، حتي يُقال أنه المعلّم الثاني بعد أرسطو، فنظرية الفارابي في : ''أنّ العالم قديم'' ، هي أنه وفقًا للفلاسفة اليونايين و خاصّة لأرسطو فإنّ ''العالم قديم'' ، ولكن بما أن هذا الاعتقاد مخالف للقرآن و السنّة ، لهذا السبب ألمح العلامة الفارابي الي ذلك علي لسان الآخرين، و لكنه لم ينف ذلك صراحة، وهكذا أوضح فلاسفة الاسلام الامام الغزالي و الامام ابن تيمية رحهما الله حسب الفارابي''أن العالم قديم ''، فتُظهر الحجج التي قدمها الفارابي في هذه المناقشة أيضا ''أن العالم قديم '' حسب رأي الفارابي ۔انظر علي سبيل المثال من أمثلته :

من أدلّة الفارابي أنّ العالم قديم ، فيقول في كتابه '' الجمع بين رأيي الحكيمين '' ''أنّ العالم ليس له بدء زماني'' أنّه لم يتكوّن أوّلًا فأوّلًا بأجزائه كما يتكوّن البيت مثلًا،أوالحيوان الذي يتكوّن أوّلًا فأوّلًا بأجزائه،فان أجزائه يتقدّم بعضها بعضًا في الزمان . والزمان حادث عن حركة الفلك . فمحال أن يكون لحدوثه بدء زماني۔[5]. واحتجّ بذلك أيضًا:

وهو أنّ الباري ، جلّ جلاله ، مدبر جميع العالم ، لايعزب عنه مثقال حبّة من خردل ، ولايفوت عنايته شئ من أجزاء العالم ، علي سبيل الذي بيناه في العناية ، من ان العناية الكلّية شائعة في الجزئيات ، وان كل شئ من أجزاء العالم وأحواله موضوع بأوقف المواضع وأتقنها، علي ما يدلّ عليه كتب التشريحات و منافع الأعضاء وما أشبهها من الأقاويل الطبيعية ، وكلّ أمر من الأمور التي بها قوامه موكول الي من يقوم بها ضرورة علي غاية الاتقان والأحكام الي أن يترقي من الأجزاء الطبيعية الي البرهانيات والسياسيات والشرعيات۔ والبرهانيات موكولة الي أصحاب الأذهان الصافية والعقول المستقيمة، والسياسيات موكولة الي ذوي الآراء السديدة؛ والشرعيات موكولة الي ذوي الالهامات الروحانية ۔ وأعمّ هذه كلّها الشرعيات ، وألفاظها خارجة عن مقادير عقول المخاطبين، ولذلك لايؤاخذون بما لايطيقون تصوّره ۔[6] وبرهن علي ذلك براهين واضحة، مثل قوله ان كلّ واحد من أجزاء الكثير ، اما أن يكون واحدًا واما أن لايكون واحدًا ، فان لم يكن واحدًا لم يخل من أن يكون اما

---

[4]أبو نصرمحمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي ، الجمع بين رأي الحكيمين (مصر: دار و مكتبة الهلال)، 58 ۔

[5]الفارابي ، الجمع بين رأي الحكيمين ،61 -60 ۔

[6] الفارابي ، الجمع بين رأي الحكيمين ، 64۔

كثيرًا واما لاشئ ؛ وان كان لاشئ لزم أن لايجتمع منه كثرة ، وان كان كثيرًا فما الفرق بينه و بين الكثرة ؟ ويلزم أيضًا من ذلك ان ما(لا) يتناهي أكثر مما لايتناهي ـ ثمّ بيّن ان مايوجد فيه الواحد من هذا العالم فهو لا واحد الّا بجهة وجهة؛ فاذا لم يكن في الحقيقة واحدًا ، بل كان كلّ واحد فيه موجودًا، كان الواحد غيره وهو غير الواحد۔ ثم بين ان الواحد الحق هو الذي أفاد سائر الموجودات الواحدية۔ثمّ بيّن ان الكثير بعد الواحد ، لامحالة۔ وان الواحد تقدم الكثرة۔ ثمّ بيّن ان كلّ كثرة تقرّب من الواحد الحق كان أوّل كلّ كثرة مما يبعد عنه؛ وكذلك بالعكس ـ ثمّ يترقّي ، بعد تقديمه هذه المقدمات ، الي القول في أجزاء العالم ، الجسمانية منها والروحانية؛ ويبيّن بيانًا شافيًا أنها كلها حدثت ، عن ابداع الباري لها؛ وأنه ،عزّوجلّ ، هو العلة الفاعلة ، الواحد الحق ، ومبدع كلّ شئ ، علي حسب ما بينه أفلاطون في كتبه في الربوبية ، مثل '' طيماوس '' و ''بوليطقا'' وغيرذلك من سائر أقاويله۔ وأيضًا فان ''حروف أرسطوطاليس فيما بعد الطبيعة ''انما يترقي فيها من الباري ، جلّ جلاله ، في حرف ''اللام '' ، ثمّ ينحرف راجعًا في بيان صحة ما تقدّم من تلك المقدمات ، الي أن يسبق فيها ، وذلك مما لا يعلم انه يسبقه اليه من قبله ولم يلحقه من بعده الي يومنا هذا۔[7]فان من تصوّر في أمر المبدع الأول (أي الله – هذا بزعم الفارابى) انه جسم ،وانه يفعل بحركة و زمان ، لايقدر، بذهنه ، علي تصوّر ما هو الطف من ذلك و أليق به ـ ومهما توهّم انه غير جسيم ، وانه يفعل فعلًا بلا حركة و زمان ، لايثبت في ذهنه معني متصوّر البتّة ـ و ان أجبر علي ذلك زاد غيًّا و ضلالًا ، وكان فيما يتصوّره و يعتقده معذورًا مصيبًا۔ ثمّ يقدر بذهنه علي أن يعلم أنه غير جسيم ، و ان فعله بلا حركة ؛ غير أنه لايقدر علي تصوّر أنه لا في مكان ؛ وان أجبر علي ذلك و كلّف تصوّره تبلّد ، فانه يترك علي حاله ولايساق الي غيرها ـ وكذلك لايقدر الجمهور علي معرفة شئ يحدث لا عن شئ ، ويفسد لا الي شئ ؛ فلذلك ماقد خوطبوا بما قدروا علي تصوّره و ادراكه و تفهّمه ، لايجوز أن ينسب شئ من ذلك فيما هو في موضعه الي الخطأ والوهي ؛ بل كلّ ذلك صواب مستقيم۔ فطرق البراهين الحقيقة منشأها من عند الفلاسفة الذين مقدّمهم هذان الحكيمان ، أعني أفلاطون و أرسطوطاليس۔

أن الزمان انما هو عدد حركة الفلك، وعنه يحدث۔ وما يحدث عن الشئ لايشتمل ذلك الشئ۔ ـ ومعني قوله '' أن العالم ليس له بدء زماني '' أنه لم يتكون أولا فأولا بأجزائه كما يتكوّن البيت مثلا، أوالحيوان الذي يتكوّن بأجزائه ، فان أجزائه يتقدم بعضها بعضا في الزمان ـ والزمان حادث عن حركة الفلك۔ فمحال أن يكون لحدوثه بدءزماني ـ ويصحّ بذلك أنه انما يكون عن ابداع الباري ، جلّ جلاله،

[7] الفارابي ،الجمع بين رأي الحكيمين ، 62 - 61۔

اياه دفعة بلا زمان ؛ وعن حركته حدث الزمان۔[8] ان الكلّ ليس له بدء زماني، فيظنّون عند ذلك أنه يقول بقدم العالم، وليس الأمر كذلك، اذ قد تقدّم فبيّن في ذلك الكتاب وغيره من الكتب الطبيعية والالهية ، أن الزمان انما هو عدد حركة الفلك، وعنه يحدث۔ وما يحدث عن الشئ لايشتمل ذلك الشئ ۔ ومعني قوله " أن العالم ليس له بدء زماني " أنه لم يتكون أولا فأولا بأجزائه كما يتكوّن البيت مثلا، أوالحيوان الذي يتكوّن بأجزائه ، فان أجزائه يتقدم بعضها بعضا في الزمان ۔ والزمان حادث عن حركة الفلك۔ فمحال أن يكون لحدوثه بدءزماني ۔ ويصحّ بذلك أنه انما يكون عن ابداع الباري ، جلّ جلاله، اياه دفعة بلا زمان ؛ وعن حركته حدث الزمان۔[9]

خلاصة الأدلّة للفارابي

وخلاصة قول الفارابي في ذلك : إن العالم موجود عن الباري تعالى – أو واجب الوجود بذاته – على سبيل الوجوب و اللزوم ، لا بمعنى أنه لم يكن ثم كان ، بل بمعنى أنه وجب وجوده بوجود ذات الباري ، فلم تتقدمه ذات الباري بالزمان ، وإنما تقدمت عليه بالذات ، تقدم العلة على المعلول . وحجتهم في هذا ، هي أن العالم إذا كان ممكنا في ذاته ووجد بغيره ، فقد وجب به ، وهذا حكم كل علة ومعلول ، وسبب ومسبب ، فإن المسبب أبدا يجب بالسب ، فيكون جائزا باعتبار ذاته واجبا باعتبار سببه ، ثم السبب يتقدم المسبب بالذات وإن كانا معا في الوجود ۔

رأي الكندي

عند الكندي أنّ " العالم حادث " ،لأنه كتب رسالة الي علي بن الجهم من رسائله الشهيرة الفلسفية ، و سُمِّيت بها"في وحدانية الله و تناهي جرم العالم "،[10]و هو كان يشير فيه الي ذلك"أن الله حيّ قيوم وماسواه فهو حادث" ۔إنّ الكندي من حكماء الاسلام و كان مؤسّس فلسفة الاسلامية ، و هو من فحول الفلاسفة ، بل يقال أنه فيلسوف العرب و فيلسوف الاسلام ، فنظرية الكندي في : "أنّ العالم حادث " ، هي أنه وفقًا للشريعة الاسلامية و خاصّة للقرآن والسنّة فإنّ "العالم حادث " ،

[8]الفارابي ، الجمع بين رأي الحكيمين ، 65 - 64۔

[9]الفارابي ، الجمع بين رأي الحكيمين ، 61 -60 ۔

[10]أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية (دار الفكر العربي لجنة التاليف مكتبة الخانجي القاهرة)، 157۔

ولأنّ الله تعالي يقول " كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ (26) وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ (27)"۔[11]انظر علي سبيل المثال من أمثلته :

الجرم من كمٍّ أو مكان ، أو حركة ، أو الزمان الذي هو فاصل الحركة ، و جملة كل ما هو محمول في الجرم فمتناهٍ أيضاً ، إذ الجرم متناهٍ . فجرم الكل متناهٍ ، و كل محمول فيه أيضاً . و إذ جرم الكل ممكنٌ أن أن يُزاد فيه بالوهم زيادةً دائمةً – أن يُتوهَّم أعظمٌ منه ، ثم أعظم من ذلك دائماً ، فإنه لا نهاية في التزيد من جهة الإمكان۔[12]

حدوث العالم

لايتعرّض الكندي لبيان قصّة خلق هذا العالم بما فيها من غموض ،و لاهو يجاري أفلاطون في خيالاته التي بين بها كيفية الخلق في قصّة طيماوس ، و لايستهويه مذهب أرسطو في المادة العاشقة للصورة و لله،مما هو أدخل في باب التصوير الفني منه في باب النظرالفلسفي ، ولاهو ينتفع – أخيرًا – بنظرية الصدور المعروفة منذالمذهب الأفلاطوني الجديد، و التي أريد بها تقريب الشقّة التي لانهاية لها و التي تفصل بين الاله الواحد المتعالي البرئ عن المادة و بين عالم المادة الجسماني المتكثر المتغير،من طريق ملئها بعدد متناه من كائنات متوسطة متحددة في روحانيتها، فجاءت في الحقيقة فشلًا فلسفيًا و دينيًا ، مادته الخيال، و لكن تشبث بها فلاسفة الاسلام بعد الكندي كما تشبث بها غيرهم من قبل – و نجد لها صورة واضحة في الفلسفة الاسلامية علي يد الفارابي ؛ بل يضرب الكندي عن هذا و أمثاله صفحا و يكتفي بأن يقرّر في وضوح و صرامة ماثبت لديه بالدليل من القول بأن هذا العالم محدث من لاشئ "ضربة واحدة" في غير زمان و من غير مادة ما ، بفعل القدرة المبدعة المطلقة من جانب علّةفعاله أولي،هي الله و وجود هذاالعالم وبقاؤه ومدةهذا البقاءمتوقفة كلّها علي الارادة الالٰهية الفاعلة لذلك ، بحيث لو توقف الفعل الارادي من جانب الله لانعدم العالم . ضربة واحدة و في غير زمان أيضًا . ودليل فيلسوفناعلي حدوث العالم هوالدليل المستند الي مبدأ التناهي في كلّ ماهو موجود بالفعل أو قد وجد بالفعل،وهوالدليل المشهورعن المعتزلة في عصر الكندي . ولكن الكندي يقيمة علي أساس فلسفي واضح متين . و يدلّ علي أهمية مسألة التناهي و ضرورة اثباته أن الكندي يتناولها في أربع من رسائله .

الأدلّةعلي حدوث العالم

---

[11] الرحمن55 :27 -26-

[12]الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، 160 -

نحن نثبت هذه المسئلة نحو ما يلي: ان الكندي يضع نظريته علي مقدمات عقلية مثلما تشاهد حسب ما يلي:

أن الكندي يقول أنه يستحيل وجود جسم بالفعل لا نهاية له ـ وهذا هو صورة مفصلة معقدة لدليل التطبيق المشهور عند متكلمي الاسلام وفلاسفته في اقامتهم للبرهان علي استحالة وجود جسم لانهاية له بالفعل. وأنَّ كلَّ الأجرام ، التي ليس منها شيء أعظم من شيء ، متساوية . - و المتساوية ، أبعادُ مابين نهاياتها واحدة بالفعل و القوة . - و ذو النهاية ليس لا نهاية له . - و كل الأجرام المتساوية ، إذا زيد على واحد منها جرمٌ ، كان أعظمَها ، و كان أعظم مما كان من قبل أن يُزاد عليه ذلك الجرم . - و كل جرمين متناهيَي العظم ، إذا جمعا ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، وهذا واجب في كل عظمٍ ، وكل ذي عظم . - و إن الأصغر من كل شيئين متجانسين بَعْدَ الأعظم منهما ، أو بَعد بعضه .فإن كان جرم لا نهاية له ، فإنه إذا فُصل منه جرمٌ متناهي العظم ، فإن الباقي إما أن يكون متناهي العظم ، و إما لا متناهي العظم .فإن كان الباقي متناهي العظم ، فإنه إذا زيد عليه المفصول منه ، المتناهي العظم ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، و الذي كان عنهما هو الذي كان قبل أن يفصل منه شيء ، لا متناهي العظم ، فهو إذن متناهٍ لا متناهٍ ، وهذا خُلف لا يمكن .و إن كان الباقي لا متناهي العظم ، فإنه إذا زيد عليه ما أُخذ منه ، صار أعظم مما كان قبل أن يُزاد عليه ، أو مساوياً له .فإن كان أعظم مما كان فقد صار ما لا نهاية له أعظم مما لا نهاية له .... و هذا خلف لا يمكن ، فليس أحدُهما أعظم من الآخر .و إن كان ليس بأعظم مما كان ، قبل أن يُزاد عليه ، فقد زيد على جرم جرمٌ فلم يزد شيئا ، وصار جميع ذلك مساوياً له وحده ، و هو وحده جزء له ، فالجزء مثل الكل . هذا خلف الكل ، فقد تبيَّن أنه لا يمكن أن يكون جرمٌ لا نهاية له و يجعل هذا البرهان غير سهل الفهم بما يكرره فيه من مقدمات سبق له ذكرها في انفاً. وهو يدور علي أنه لو أُخذ من الجسم المفروض أنه لانهاية له بالفعل جزء ، ثم أضيف اليه من جدجد ، لكان مع ما يضاف اليه أكبر منه قبل الاضافة؛ لكنه قبل الاضافة وبعدها هو هو ، أي لا متناه ؛ واذن فاللامتناهي أكبر و أصغر ، وهو تناقض ـ[13]

ومن دلائله الواضحة

اثبات تناهي الزمان ؛ وهو يرتبط بوجوب تناهي الحركة، وذلك قياسًا علي تناهي الجسم، وبسبب الارتباط الذي لاينفك بين الجسم والحركة والزمان وعدم تقدم أحدهما علي الآخر في الوجود، نظرًا

[13] الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية، 154 ـ

لهذا الارتباط ،[14] ، فثبت منه حدوث العالم وعدم قِدمها وبعد أن ينتهي الكندي الي وجوب تناهي الجسم والحركة والزمان يقرر أوّليتها و حدوثها جميعً عن ليس (لاشئ) بفعل محدِث ، وهذا الاحداث أو الاظهار للشئ عن ليس هو ''ابداع'' بحسب تعريفه للابداع بحيث كذا. و من ذلك الحركة و الزمان – فإن الذي لا نهاية له إنما هو في القوة ، فأما في الفعل فليس يمكن أن يكون شيءٌ لانهاية له ، كما قدمنا ، و إن ذلك واجب .فقد اتضح أنه لا يمكن أن يكون زمان بالفعل لا نهاية له . و الزمان زمان جرم الكل ، أعني مدَّته . فإن كان الزمان متناهياً ، فإن آنية الجرم متناهية ، إذ الزمان ليس بموجود .و لا جرم بلا زمان ، لأن الزمان إنما هو عدد الحركة ، أعني أنه مدَّة تعدها الحركة . فإن كانت حركة كانت كان زمان ، و إن لم تكن حركة لم يكن زمان .و الحركة إنما هي حركة الجرم ، فإن كان جرم كانت حركة ، و إن لم يكن جرم لم تكن حركة ...و الجرم جوهر ذو أبعاد ثلاثة ، أعني طولاً و عرضاً و عمقاً ، فهو مركّب منالجوهر الذي هو جنسه ، و من الأبعاد التي هي فصوله . و هو المركب من هيولى و صورة.[15]

ومن حججه الظاهرة

واذ قد انتهي الكندي الي اثبات حدوث الكل ، فانه يبدأ في اثبات أن المحدِث واحد ؛ وذلك علي أساس أن الكثرة في المحدِثين تؤدي الي التركيب في ذواتهم ، لأنهم لابدّ أن يكونوا مشتركين في أمر واحد يسّهم ، وهو كونهم جميعًا فاعلين ؛ كما أنهم لابدّ أن يختلفوا بفصول تخصصهم فكلّ منهم اذن مركب مما يخصّه ومما يعمّه ويعمّ غيره ؛ وهذا يقتضي حدوث كل منهم ، لأنه يحتاج الي مركب يركبه . وهذاالدليل نجده في جملته عند فلاسفة الاسلام بعدالكندي . ويختم فيلسوفنا رسالته بعبارات ينزه بها الله عن مشابهة المخلوقين.[16] تدلّ كلام الكندي هذه علي أنه لايقول بقدم جرم العالم ولا بقدم الحركة والزمان ، وان كان يجيز أن يكون كلّ من هذه لانهاية له بالقوّة والامكان دون الفعل؛ وفي هذا دليل علي أن أول فلاسفة الاسلام كان ، خلافًا لأرسطو متمسّكا بالقول بحدوث العالم لاثبات الخالق المبدع.... بحيث كذاكل تبدّل بفاصل مدة ، و المدة المفصولة هي الزمان .و قبل كل فصل من الزمان فصل ، إلى أن يُنتهى إلى فصل ليس قبله فصلٌ ، أي إلى مدة مفصولة ليس قبلها مدة .و لا يمكن غير ذلك . فإن أمكن ذلك ، فإنَّ خلفَ كلِّ فصلٍ من الزمان فصلاً بلا نهاية . فإذن لا يُتناهى إلى زمان مفروض أبداً ، لأن من لا نهاية في القدم إلى هذا الزمان المفروض مساوٍ مُدَّتُه

[14] الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية، 154 .

[15] الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، 161 .

[16] الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، 155 .

للمدّة من الزمان المفروض متصاعداً في الأزمنة إلى ما لا نهاية له .و إن كان من لا نهاية إلى زمن محدودٍ معلومٌ ، فإن من ذلك الزمن المعلوم إلى ما لا نهاية من الزمان معلوماً .فيكون إذن لا متناهياً متناهياً ، و هذا خلف لا يمكن البتة .و أيضاً إن كان لا يُنتهى إلى الزمن المحدود حتى يُنتهى إلى الزمن قبله ، و كذلك بلا نهاية – و ما لا نهاية له لا تقطع مسافته ، ولا يُؤتى على آخرها ، فإنه لا يُقطع ما لا نهاية له من الزمن حتى يتناهى إلى زمن محدود بتَّةً ، و الانتهاء موجودٌ – فليس الزمان متصلاً من لا نهاية ، بل من نهاية ، و ليس ممكناً من أن يكون جرم بلا مدّة ، فآنية الجرم ليست لا نهاية لها ، و آنية الجرم متناهية . فيمتنع أن يكون جرمٌ لم يَزَلْ . فالجرم إذاً محدَثٌ اضطراراً ، و المحدَث محدَث المحدثٍ ، إذ المحدِث و المحدَث من المضاف ، فلكلّ محدث اضطراراً عن ليس۔ وباالرغم أن الكندي كان يسير في تيار المتكلمين الأولين ؛ وهو كأنما قد رأي مارآه المتكلمون بعده ، كالغزالي ، من تعارض بين القول بقدم العالم أو لا تناهيه من جهة ، و بين امكان اثبات الصانع من جهة أخري ۔[17]

خلاصة كلام الكندي

ان الكندي يبين ان التلازم بين الزمان، والحركة، والجرم، فعنده الزمان وجود الجرم، لأنه ليس للزمان وجود مستقل، والحركة هي حركة الجرم، وليس لها وجود مستقل كذلك،ولذلك كان مذهبه –أي الكندي- بعدا عن الوهم الذي وقع فيه الاخرون كما أن هناك فجوة عميقة ما ذهب إليه الاخرون من أن الإله عنده فكرة مجردة لا شأن لها بالعالم، وبين عالم مادي، أما الكندي فإنه يرى أن العالم صنع إله حكيم وأنه منتهى لامره۔

أجوبة الأدلّة للفارابي

أجاب كثير من العلماء الاسلام بشكل منطقي و مجازي لحجج الفارابي ، الذين أجابوا علي حججه العقلانية بطريقة فلسفية ، و علي رأسهم الامام الغزالي ۔فيما يلي نحن نقتبس اجابة الامام الغزالي ببعض الحجج للفارابي :

نظرية قدم العالم خلاف العقل و النقل كما أوردها الغزالي هي

أن العالم متأخر عن الله والله متقدم عليه ليس يخلو إما أن يريد به أنه متقدم بالذات لا بالزمان كتقدم الواحد على الاثنين، فإنه بالطبع، مع أنه يجوز أن يكون معه في الوجود الزماني، وكتقدم العلة على المعلول مثل تقدم حركة الشخص على حركة الظل التابع له وحركة اليد مع حركة الخاتم وحركة اليد في الماء مع حركة الماء، فإنها متساوية في الزمان وبعضها علة وبعضها معلول، إذ يقال: تحرك

[17] الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، 164 - 157 ۔

الظل لحركة الشخص وتحرك الماء لحركة اليد في الماء، ولا يقال تحرك الشخص لحركة الظل وتحرك اليد لحركة الماء، وإن كانت متساوية ، فإن أريد بتقدم الباري على العالم هذا لزم أن يكونا حادثين أو قديمين واستحال أن يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً.[18] وايضاً قال الامام الغزالي :يستحيل حدوث حادث من قديم مطلقاً قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقاً، لأنا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلاً فإنما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكناً إمكاناً صرفاً، فإذا حدث بعد ذلك لم يخل إما أن تجدد مرجح أو لم يتجدد، فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الإمكان الصرف كما قبل ذلك، وإن تجدد مرجح فمن محدث ذلك المرجح؟ ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل؟ والسؤال في حدوث المرجح قائم. وبالجملة فأحوال القديم إذا كانت متشابهة فإما أن لا يوجد عنه شيء قط وإما أن يوجد على الدوام، فأما أن يتميز حال الترك عن حال الشروع فهو محال.لم لم يحدث العالم قبل حدوثه۔[19]قال ابن تيمية في هذه المسئلة:ومن المذاهب التي تقول بقدم العالم مذهب الدهرية وأرسطو وأتباعه يقولون : أن العالم قديم. والمشهور عن القائلين بقدم العالم أنه لا صانع له؛ فينكرون الصانع ﷻ. وقد ذكر أهل المقالات أن أول من قال من الفلاسفة بقدم العالم " أرسطو " صاحب التعاليم الفلسفية: المنطقي والطبيعي والإلهي. وأرسطو وأصحابه القدماء يثبتون في كتبهم العلة الأولى ويقولون: إن الفلك يتحرك للتشبه بها؛ فهي علة له بهذا الاعتبار إذ لولا وجود من تشبه به الفلك لم يتحرك وحركته من لوازم وجوده ۔[20]وهكذا تشهد علي نفي قِدم العالم عدة من الآيات القرآنية ، فان العديد من الحجج العقلانية كافية لنفي قِدم العالم ۔

ومع ذلك ، لقد تمّ اثبات حدوث العالم من خلال آيات عديدة من القرآن الكريم ، و بلا ريب لقد أثبت القرآن الكريم والسنة المباركة حدوثَ العالم ، لأن الحدوث هو الخلق لله أي اعطاء الوجود من العدم ، يدلّ عليها عشرات آية من القرآن الكريم و مئات الأحاديث المباركة ۔ولدينا أسبقية وتقدّم رائ الامام الكندي وفق شريعة الإسلامية لأنّ كلام الله وسنّة رسوله صلي الله عليم وسلم تدلّ علي توافق وتطابق نظرية الامام الكندي أعني "حدوث العالم " أمّابيّنات الكلام الالهي والحديث النبوي فهي كاالتالي :

---

[18]أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، تهافت الفلاسفة (القاهرة : الطبعة السادسة) ، 110۔

[19]الغزالي ، تهافت الفلاسفة،90 ۔

[20]أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية ، مجموع الفتاوي (المملكة العربية السعودية: 1416ھ/1995م)،5 : 540۔

وقدنجد مسألة حدوث العالم جليّة في كتاب الله تعالي فقد قال الله تعالي:"إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ . . .الخ"۔[21]ففي هذه الآية "ستة أيام" لفظ يدلّ علي الحدوث زمانيًاوقال الله تعالي في موضع اٰخر :"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ،وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ۔ - - - - ۔الخ[22] وأيضًا قال تعالٰي : "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ"۔[23] ففي آيتين مذكورتين" الخلق " علامة الحدوث و كذلك " كن فيكون "، وهمامرتبطتان مع بعضهما البعض وهو الانشاء من العدم۔ولا نريد الاطالة في تقديم هذا البحث،لكي لاندخل في طوال البحث. و هناك من الآيات الكثيرة جدًّا مما لامجال لذكرها۔وفي الحديث : كَمَا رَوَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: " كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعَرَّفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأُعَرَّفَ"۔[24] ففي هذا الحديث القدسى " الخلق " علامة الحدوث أي و هو الانشاء من العدم۔ كما قال الله تبارك وتعالي في الكتاب : اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهارُ۔[25]

خلاصة المبحث

سأذكر امامكم نبذة وجيزة حول " خلاصة المبحث هذا" بان الكندي قال ما وافق الكتاب والسنة حول المبحث اي ان العالم حادث ،من هو المحدث ؟ فأوضح إنّ الله محدث ومبدع لما ان الابداع علي حد قوله " الاخراج من العدم الي الوجود أو تأسيس الأيسات من ليس" فدرجتُ في بحثي هذا الحجج الدامغة والبراهين الساطعة حسب الفطرة البشرية ملبيا بندائه وصوته السلمية ولكن الفارابي يمثل علي عكس هذا بان ركز جهوده الكاملة في ميزان " ان العالم قديم" متاثرا بفلاسفة اليونان وعلي الأخص أرسطو وأفكاره الفلسفية الدقيقة الغامضة ۔

فإنَّ مسألة حدوث العالم وقدمه من المسائل التي خاضهاالمتكلّمون والفلاسفة في القديم والحديث وهي من المسائل الجدلية التي ناصبت العداءمابين الفلاسفة من أتباع أرسطو الي يومنا هذا . ولقد اتفق فلاسفة الإسلام علي حدوث العالم و لم يخالف منهم إلّا شرذمة لايعدّ بقوله.

---

[21] الأعراف 7: 54 ۔

[22] الأنعام 6: 73۔

[23] الأنعام 95:6۔

[24]علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (بيروت : دار الفكر، 1422ھ / 2002م) 9 : 3724

[25] الرعد 13 : 16۔

وهههناذكرتُ آراءالكندي والفارابي وأدلّتهما مفصّلاولكنّ مجملاً ، ولدينا أسبقية وتقدّم رائ الامام الكندي وفق شريعة الإسلامية لأنّ كلام الله وسنّة رسوله صلي الله عليم وسلم تدلّ علي توافق وتطابق نظرية الامام الكندي أعني "حدوث العالم " أمّابيّنات الكلام الالهي والحديث النبوي فهي قد ذكرتُ في البحث .

نتائج البحث

لقد توصل الباحث من خلال بحثه في مسألة حدوث العالم و قدمه إلي ما يلي :

1 الخلاف بين الفلاسفة الإسلاميين من الكندي و الفارابي كبير جدّا ، وذلك أنّ الفارابي يزعم بقدم العالم ، والكندي يقول بعكس ذلك وهوحدوث العالم .

2 الديانات الثلاثة : النّصاري و اليهود و الإسلام تقول بحدوث العالم (وهو بموافقة الكندي)،وهوأمرفطري إسلامي بحدوث متوافق بين الديانات الثلاث الذي يقول موسي بن ميمون اليهودي أنّه بحدوث العالم تثبت المعجزات .

3 لقد أثبت الكندي حدوث العالم والحادث مفتقر في وجوده الي الغير هو واجب الوجود فهو يتماشي مع الفطرة الإسلامية السليمة التي تقتضي من وجود مؤثّر وناشئ لهذا الحادث وهو واجب الوجود الفاعل .

3 إنّ إنكار الفارابي لحدوث العالم تعني إنكار المعاد والبعث جملة وتفصيلا لأنّه بنظرهم العالم لا نهاية له ، فليس الأمركذلك كمامرّ الآن

4 وأخيرًا الحدوث ثابت في الكتاب و السنة النبوية الشريفة وهومن خلال آيات الخلق الكثيرة في القرآن الكريم